

الملاح العامة لأسلوب الأستاذ عبدالعزيز الميمن في ضوء كتابه "ابوالعلاء وما إليه"

*الدكتور افتخار احمد خا

Abstract

Al-sheikh Abdul Aziz Memon is one of the greatest scholars of Arabic in the sub continent. He engaged himself for the services of Arabic language and contributed a lot to the Arabic heritage. He is one of those torch bearers of that generation who laid down the methods for research work. He edited more than forty manuscripts, on various topics. He appears to be the master of both the fields. The ways to write on new topics and to edit the manuscripts. His strife for the Arabic literature helped to promote modern renaissance. Through his modern work like "Abu-al-ala wama elih" he changed the currents in Arabic literature. Through deep study of his work, it appears to us that the style of Al-Memon was known for its charecteristics which may be summarized as follows :compact language, very deep view and comprehension of all the aspects, defence of realities, total control over the language, comparison among various views, use of literary language of higher ranking, and very deep study about writing on new and modern topics and editing the manuscripts.

إن الشيخ عبدالعزيز رحمه الله رب العلم والأدب وهو من أعلام الادب العربي في شبه القارة الهندية ، واشتغل بالعلم فخدم اللغة وله فيها مآثر جليلة لا يكاد يدانيه في ذلك غيره وهو من الرعيل الأول لهذا الجيل الذين وضعوا قواعد لأنفسهم ليسيروا عليها لأجل البحث وشقوا طرقا لهم لتحقيق ذلك الإرث الجليل الذي ورثوه عن آباؤهم وانه حقق أكثر من أربعين كتاباً صغيراً أو

كبيراً (١). وأما البحث الأدبي ، فيتجلى الأستاذ الميمنى كباحث دقيق و كاتب متفوق إنه حقاً يعد من الرعيل الأول الذى وضع أصولاً وشق طريقاً فى كلا المجالين :البحث والتحقيق وعلى يده رأى تاريخ الأدب العربى نهضة حديثة بأعماله الأدبية حقق هذا الجيل أن يغير مجارى الحياة .ومن أعماله الأدبية المبتكرة مؤلفه العظيم ” أبو العلاء وما إليه “ وهو موضوع مقالنا اليوم ،وهو كتاب حامل بتاريخه وأخباره ، جامع للمباحث الدقيقة فى حياته وآثاره ، منبه على أوهام الشرق والغرب فى فهم رموزه وأسراره ، وهذا مما عنى بوضعه و وصفه ، وقام بجمعه و رصفه الشيخ عبدالعزيز الميمن الراجكوتى الأثرى الهندى .

وضح الأستاذ المرحوم رحمه الله فى مقدمته لهذا الكتاب بقوله : كيف صادف عزمه على تأليف هذا لكتاب فقال :

” هذا كتّيب لى وضعتة وسفر صنعته فى أخبار شيخ المعرفة ابى العلاء - رب القريض والانشاء - وكأنى بمن يستنكر حاجة الناس إليه ويحقق غناهم عنه بعد ما قد أكثر الأمم من التأليف فيه ولجوابه وبآثاره فاستنبطوا منها كل عين وأثاروا عن كل دفينة ، ولم يتركوا القائل مقالا ، ولا لفارس مجالاً ، فأجالوا فيها القداح ، وشمروا مجدّين للكفاح - بيد أنى كنت أرى ولا أقول صواباً أن الحاجة كانت ماسّة بعد إلى من يرمى عن كئيب ، ويتعرف بأبى العلاء تعرّف الانسان بصاحب له ذى أرب ، حتى يقضى عن نفسه بعض ما وجب ، ويستفيد من شدّاذ أطراف المباحث ما كان شرد وذهب ويميز القشر عن اللّب ، والجريال من الربّ .

فالمقصد إذا كان خطيراً ، يقتضى من الوقت فراغاً ومن دواوين الأدب نصيراً وظهيراً ، وكنت مشغول البال والضمير ، ولم يكن بيدي منها نقير أو قطمير - فكيف الحداء اذا بغير بعير ، أو جوب الفلوات الفيح ونضدى كسير حسير ، فكنت أتلكأ نظراً إلى صعوبة العمل ، وطول الأمد والأمل ، وأتجانف بنفسى من الوقوع فى مدحضة مزلة ، ليس لهيضا جبر ولا بلّة ولكن لما رأيت هجنة المستعربين ولثغة المتأدبين ، قد نكبتهم عن الوصول إلى غاية المأمول فوقعوا فى سلاجمل ، وارتبكت مرآكبههم فى الوحل ، اغتمت الفرص وانتهزت من الآناء الحُلس ، واستنطقت الحبس ، فإننى رأيت خفض الصوت وقصر النفس ، أحسن بالفتى من العيّ والخرس . وكان القول طال

وتجاذب الناس فيه أطراف مطارف المباحث ، من بين مجدّ وعابث ، إلا انى وجدت رجلين (٢) هما معول الآخرين ومفزع الناقلين - فتوخيت تصحيح كتنا بيهما عما أتياه من قلة التأمل والتفكير ، والارتباك بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير - حتى تتجلى الحقائق فى بردها القشيب وتستعيب الشباب عن المشيب . ولست ابخسهما حظهما من الإصابة ، ولا اغمظهما نعمتهما فى الاثابة فىانى صادع بأنهما احرزوا قصبات الفضل ، وفازا من بين الأقران بالخصل وأجادا وأفادا ، وأحسننا وزادا ، إلا انهما ما عانيا لم يسلمنا من وهن البيان شأن الانسان الضعيف البنيان ولست إلا كطليح أو كباز قضيص ، لا أقدر على النصيص أو القنيص - " (٣)

وبالتتبع وبعد الدراسة العميقة بدت لنا الملاح العامة والميزات الخاصة لأسلوب الشيخ الميمن يمكن حصرها فيما يلى :

☆ ابتداء الكلام عن مولد المعرى وبدأ بتحقيق اسم بلدته وتحقيق هذا اللفظ الذى أطلق عليها ، وحقق موقع تلك البلدة و وصف مولده و رد على ما فهمه مرجليوت ثم اتبعه فى ذلك د / طه حسين عن اسم " معرفة النعمان " وذلك يدل على سعة ثقافته واطلاعه ، وثقته بعلمه ومثال ذلك ما كتب المحقق الفاضل تحت عنوان " معرفة النعمان لفظها وموقعها و وصفها " (٤)

☆ من ملامح الاستاذ الميمن انه اهتم اهتماماً بتوخى الصحة وإبراز الحقيقة مع مراعاة الإيجاز الشديد ، ثم التزامه واهتمامه بإيضاح كل ما تعقد أو غمض ومثال ذلك الهامش رقم ٤ فى ص ٢٦ ، أو رد العلامة الميمن قول ابن قتيبة فقال : " انشد ابن قتيبة فى الميسر له للكفيت فى قضاة وتحوّلها الى اليمن على ما سيأتى وأدعائها اليها وهى من نزار فى قول بعضهم :

فمهللاً ياقضاع فلا تكونى مَنِحاً فى قداح يَدَى مُحيل
قال : يريد لاتكونى هناك غريبة كهذا المنيح فى هذه القداح ولكن ارجعى إلى نسبك فى نزاره .. "

وعلّق عليه الشيخ الميمن بقوله فقال : " كذا فى الموضوعين . والظاهر أنه ليس من تصحيف الناسخ فلعله كقول صاحبنا التمضر كما سيأتى . لان قبائل معد انما تشعبت من نزار ثم من مضر فيريدون

بمضمر ونزار معدا والافظاهر أن قضاة على هذا يكون ابن معدا نزار وعم مضمر“
☆ ومن الدلائل على اهتمامه بالايجاز الشديد في ذكر الأخبار وسرد الروايات ، ما قاله عند انتهاء الكلام الذي ذكره عن السمعاني واليعقوبي والبكري وقد ذكر فيه قصة عن الزرقاء بنت زهير الكاهنة ، ما نصّه : ” انتهت الاسطورة بغاية الاختصار “(٥)

☆ بالنظر العميق إلى ما قاله الشيخ الميمنى في ابتداء الكلام تحت عنوان ” عمود بنى سليمان “ يتبين أنه لم يكن ناقل محض ، أو جامع معلومات أو ذاكر ما وجدته مهياً في المصادر القديمة ، وإنما هو باحث ومحقق يذهب في البحث في الموضوع إلى منتهاه ولا يزال يحقق في موضوع من الموضوعات العلمية حتى يصل إلى ما يرجى ، بدأ بالكلام تحت عنوان ” عمود بنى سليمان ليعلم أن سياق النسب إلى قوله ثم إلى عبدالله والد ابى العلاء - “(٦)

☆ من آثار تحريه في نقل أخبار المعرى وذكر آبائه وأجداده ليتضح ذلك للقارئ حتى يستفيد استفادة كاملة ، صنعه قائمة لذلك ترد على صفحة ٣١ من كتابه ، ثم لم يكتف بصنع هذه القائمة ، بل شرح كل اسم من الأسماء الواردة في تلك القائمة التي توضح جميع الأعلام من أسرته وذكر المصادر التي تصدّت لذكرها وما إلى ذلك - وكل هذا على طريقة المحققين المحدثين ، ويبدو أنه كان من الرعيل الأوّل الذين وضعوا هذه الطريقة في البحث والتحقيق حتى صارت سنة متبعة عند الباحثين المحققين في العصر الحديث -

☆ إن الشيخ الميمنى بثقافته اللغوية الواسعة ، وسيطرته على اللغة ، قد استطاع أن يأتي بأسلوب مماثل ملائم بأسلوب المعرى (الذى يكتب عنه) ، وكما كان المعرى دائماً يميل إلى استخدام الكلام المسجع المقفى ، واستعمال الكلمات الغريبة ، فكذلك نجد الشيخ الميمنى يتفنّن في الأسلوب ويأتى بكلمات جليلة خلّابة ، ويبدو كأنه يلعب بالألفاظ كيف يشاء ، ويأتى بها كيف يريد ، وذلك لتمكّنه منها كاملاً ، وسيطرته عليها تاماً ، يُنظر على سبيل المثال ما قاله من أخواله آل سبيكة : ” هم كما يظهر إلى قوله بل لكسب المعدوم وفكّ العانى المظلوم ، وصلة الأقارب ، والإعانة على النوائب “(٧)

وقوله : ” وكان صاحبنا يحبهم من صميم قلبه إلى قوله : بل لو قلنا انهم هم

الذين كفلوه من ريعانه إلى محتوم إبانَه لم تُبعد-“ (٨)

☆ يبدأ الشيخ بالكلام في الموضوع حتى يبدو كأنه يضع مبدأً أو يقرّر أصلاً من الأصول أو قاعدة من القواعد ثم يطبّق الحقائق أو الوقائع على تلك المبادئ أو الأصول ليُتضح ما يريد إيضاحه ، مثال ما قاله تحت عنوان : ” حفظه و واعيته “ من قوله : العميان أصحّ الناس حفظاً إلى قوله : ” والمعروفون بقوة الواعية منهم لا يبلغهم إحصاء ، ولا يأتي عليهم أو يعترف بالعجز دون بلوغ الغاية والإعياء -“ (٩)

☆ يهتمّ الشيخ الميمن دائماً استخدام كلمات متناسبة وجملاً متناسقة في سرد الوقائع والأخبار ولكنّ همّهُ المبدول إلى ذلك لا يمنعه من التركيز على ما هو المطلوب ولا يصرفه عن موضوعه الأصيل ، مثال ذلك ما كتبه تحت عنوان : ” ابن خالويه وأصحابه وآل حمدان “ فعبارة في غاية الحسن ، وأسلوبه بارعٌ حكيم ولكنّها ليسا بالمراد وإنما المقصود هو ما يذكره من المعلومات والحكايات فيبلغ شأوه بهذا من البلوغ إلى الهدف المنشود ، أبلغ وأكمل ثم لا ينسى أن يذكر محدوديته وقصره على ما تيسّر له من الوصول إلى مصادر الموضوعات المطلوبة شرحها أو إيضاحها ، يدلّ على ذلك ما قاله في الأخبار عن ابى الطيب على بن الواحد اللغوى بعد سرد بعض ما تمكّن على المعلومات عنه حيث قال : ” إلى آخر ما ترجمه به ، وإنما طوّلت لأنى لم أر لابي الطيب ، صاحب مراتب النحويين ، ترجمة أو فى من ترجمة صاحبنا“ (١٠)

☆ إنّ الشيخ الميمن رحمه الله تعالى : كسائر المؤلفين الذين يتناولون شخصيّة للدراسة قد أحسّ بصلة وديّة بينه وبين ابى العلاء ، لأنه عاش معه سنين يجمع أخباره ، يؤلّف ما تشتّت منها ، يدرسها ويعمق النظر فيها ، يقرأ النصوص ويعمّق الفكر في فهمها وتحقيقها ، حتى بدأ يشعر بعلاقة خاصّة بينه وبين أبى العلاء حتى بدأ يرى من واجباته الدفاع عن صاحبه ، ويرثّه من كل نقد نقد ابا العلاء به من المترجمين له ، يتّضح هذا بوضوح بكل ما قاله مدافعاً عنه ، تحت عنوان : ” رحلته إلى بلاد الشام وتشتّت آرائه وزهده فى ملاذ الحياة -“ (١١)

☆ بعد الدراسة العميقة المتأنيّة و وقعات طويلة عند نصوص ” ابى العلاء وما إليه “ بدالى كأن الشيخ الميمن كان يريد أن يصنع نصّاً يُقرأ ويشرح ويعلّق عليه فيما بعد ، أو كأنه كان يريد أن

ينشئ نَصًّا، يُدرّس ويقرّر، وكأنه استطاع أن يعيش مع صاحبه (١٢) ”أبي العلاء“ فاستوى إلى ذلك المستوى الذى كان أبو العلاء المعرّي تمكن عليه، فأثر فى ذكر أخباره الاسجاع والترسل - ينظر على سبيل المثال - إلى ما قاله تحت عنوان ”شعر صباه ثم فترة الشباب“

”وقد حفظ لنا التاريخ تغلغل قبله بمسمعيهما -“ (١٣)

☆ كلما يمرّ بموضوع من الموضوعات، كانت له صلة بالموضوع الأصيل، يوفّى حقّه، ويستوعب جميع جوانبه، ثم لا ينسى تحقيق كل ما يذكره وتدقيق فيما يسرده من الوقائع والأخبار، حتّى لا يفوته شىء يوجد فى المصادر القديمة مهما ندر وجودها، مع علمنا بأنّه كان يميل طبعه إلى الايجاز الشديد-

مثال ذلك ما ذكره عن أباة المعرى وأجداده تحت عنوان ”أبو القاسم الوزير المغربى

وابوه ابوالحسن من ص ٨٧ إلى ص ١٠٢ -“ (١٤)

☆ كانت الصلة الودّية الخلقية نشأت بين المؤلف وبين المعرى فكلما أحسّ بأن القدماء فى نقل الروايات أو سرد الوقائع ما اهتمّوا بتوخي الحقائق وإنما حكوا ما وصل إليهم بدون التحقيق، قام الشيخ الميمن بهذه المسؤولية الكبرى ونهض بتحمّل ثقلها على عواتقه، فما زال يدافع عنه ويؤمن النظر ويعمّق الفكر ويديره فى الأمور حتى تراءى له الحقائق فبيّنّها وأوضحها، يتبيّن موقفه هذا ما فعله الشيخ فى ذكر ”أسباب رحلته إلى بغداد“ (١٥)

☆ كان الأستاذ الميمن ثاقب النظر، عميق الفكر، واسع الإطلاع، متنوّع الثقافة مع ما أعطى من قوّة الذاكرة ومتانة الحافظة ثم كان علمه الغزير يعرف حدوده، ولم يكن فرسه جموحًا، ولم يكن يخوض فى موضوع من الموضوعات بدون إفادة وكان يكتفى بإشارة تكفى الحاجة، مثال ذلك ما فعل خلال ذكر إنشاء عضد الدولة خزانة الكتب بشيراز ثم قال: ”ولى رعايتها على بن هلال المعروف بان البوّاب - ”صاحب الخط الشهير“ فلعلّ هذا كان الباعث لوزيره“ وذكر خزانة الكتب أنشئت بكرخ بغداد وما زال يُورد روايات متنوّعة تصف تلك الخزانة، ثم قال: وأما حازنها كما ذهب على بعض شبّان العصر -“ (١٦) ويزاد مع هذا ما قاله فى الهامش ص ١١٨

☆ كان الشيخ الميمن رحمه الله تعالى قد اعطى ذهننا ثاقبا وطبعًا باحثًا ونظرًا دقيقًا مع العلم الغزير والثقافة الواسعة ، فلم يكن يفوته شيء يستحق التفات الباحث ، ويحتاج إلى مراعاة المحقق ، ولم يكن يمكن لأى خطأ أو أغلوطة أن تتسلل بدون الانتباه من نظره العميق - يُنظر على سبيل المثال ما قاله الأستاذ المرحوم بعد سرد حكاية حكاها القفطى ، قال : " روى القفطى مع قصيدته التائية ١ هـ -

ثم علق عليه الأستاذ المرحوم بقوله : " والحكاية ولا تحققت معناها فيه من أى جهة كان ؟ "

وقوله : " اقول وهذا إلى يقلل نصيبه مما ملأ منه عصرينا عدله "

وقوله : " وقد حبط حبطًا شنيعًا " (١٧)

☆ كلما رأى الشيخ الميمن صاحبه (١٨) قد جعل عرضة لأسهام النقد الشديد ، وأتخذ هدفًا لرشق النبل الضارية ، يحسّ فى داخله دافعًا شديدًا ليقوم على جانبه وليكون وكيل أموره ليدافع عنه ولينصره ولا يتركه يسعى لخلاصه من غمرات النقد الشديد ، نراه يخلص للمعرى ويحاول أن يدافع عنه بصوت خافتٍ وأسلوب متين وبنفس مطمئنة عندما رأى شدة آراء المخاصمين وخاصة اذا كان الأمر من أمور الدين ، وهذا عند ما نقده العلامة الحافظ ابن كثير ، صاحب تفسير القرآن العظيم على قوله فى قطع اليد ، وبعد ما نقل آراء العلماء الفقهاء أبدى الشيخ الميمن رأيه بقوله :

" وأرى وعند الله علم السرائر ، وهو يتولى الضمائر- " (١٩)

☆ قد تبين لنا فيما سبق أن الشيخ الميمن رحمه الله تعالى كان يتعصب لصاحبه ، ولكن هذا لم يذهب به كل مذهب ، ولم يجعله يميل عن جادة الحق ، وقول العدل -

ان من واجبات الباحث أو المحقق الذى يحقّق فى موضوع من الموضوعات أن يسير فى أغواره ويحيط بجميع جزئياته فيكون البحث كاملا شاملا ، وربما كان الشيخ الميمن رحمه الله تعالى قد اعطى نعمًا كثيرة متنوّعة حيث كان يتصف بتلك الصفات الكريمة التى تجعل من صاحبها أهلا ليكون باحثًا ناجحًا ، ومع ذلك كله كان يتحمل شيئًا خلاف الحقيقة ولو كان تافها

وكان شديد الغيرة على الحقائق العلمية، ولم يكن يراعى فى سبيل ذلك منزلة أحد، ومكانة فرد .
لما رأى دولت شاه السمرقندى ذكر حكاية أحسها الاستاذ الميمن مغلقة، اشتدت لهجته فى الرد عليها وغضبت نفسيته، بدأ الأستاذ الميمن كلامه تحت عنوان ” هو بحضرة القائم الخليفة“ تعريب ما قاله السمرقندى بقوله: ”لم أر وهذا تعريب زمزمته وبيان جمجمته قال فى تذكرته:

”ولابى العلاء فى علمى المعانى والبيان عدّة كتب“

فعلق عليه الشيخ الميمن بقوله: (؟؟ فأين هى ؟)

”وكان القائم بأمر الله الخليفة العباسى يكرمه ويتفقده“

وعلق عليه الشيخ بقوله:

”فلماذا رجع اذا وشكا عسرته ببغداد“

وله فى مدح آل عباس قصائد:

وعلق عليه الأستاذ المرحوم بقوله: ”لم نجد منها شفعا ولا وترا“

حكى ان ابا سعيد الرسمى وهو من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء كان يتلمذ عليه لما عمى فى آخر عمره (يا سبحان الله!) ولذا يدعوته ابا العلاء الضرير وكان كلما أنشأ مديحا فى الخليفة قاده ابو سعيد إلى مجلسه وقالوا إن ابواب دار الخلافة كانت من الارتفاع بحيث ان أصحاب الرايات كانوا يدخلون فيها من دون أن ينكسوها، فكلما وصل به الرسمى إلى باب من أبوابها قال له انحن أيها الاستاذ فيثنى فكان الخليفة ومن بحضرته من الأعيان يضحكون على ذلك فيقول ابو العلاء مستنكرا لله درك من تلميذ: ١ هـ -

فعلق عليه الشيخ الميمن بقوله:

”ولم يذكر احد تلمذ الرسمى عليه ولا احسبه من الأحياء اذ داك فانه من الطارئى على

باب الصاحب بن عباد على أن ابا العلاء ممّن يرى الموت أمراً وأهناً من أن يصير هزأه يُسخر منه لأبناء الدنى -“ (٢٠)

☆ كان الشيخ الميمن رحمه الله تعالى اية من ايات الله سبحانه وتعالى فى عصره حيث

كان الله سبحانه وتعالى وهبه بمواهب قلّ أن توهب للناس ، ومن تلك المواهب التي كان يتجمل وتتحلّى شخصيته بها ، ثقابة الذهن وحده النظر وعمق الفكر ، فكان رحمه الله لا يمضى بقصة أو حكاية أو خبر بدون السير في أصولها أو حقائقها - وكان يستنبط نكات نادرة ويستخرج معاني مبتكرة ، وكان نظره يصل إلى أعماق أغوار الحقائق ما لم يكن يتيسر لاحد غيره ، وقد أتضحت صفاته هذه في غير واحد من مواضع تأليفه الجليل " ابو العلاء وما إليه " فانه عند ما ذكرت تحت عنوان " رواة شعره بها " رواية تلمذ التنوخي الصغير للمعري وسماعه منه شعره ، قد استنبط من هذه الرواية قائلاً :

" و ظننا أن المقروء ديوان المتنبي وشيء من السقط " (٢١)

ثم علّق على هذه الرواية بقوله :

" وارتاب بعضهم وانظره في بيان تأليفه " (٢٢)

وكذلك ينظر ما قاله الاستاذ الميمن في تحقيق كلمة " يوحى " التي وردت في بيت

للمعري في سقط الزند - " (٢٣)

ومما يدل على ثقافته الواسعة وسيطرته الكاملة على اللغة العربية أنه بعدما ذكر حكاية

رواها ابن الجوزي في الأذكياء (٢٤) وياقوت الحموي في معجم الأدباء - (٢٥)

قد علّق عليها بقوله :

" والغرض من سياق هذا السند فقال :

فأخلق به أن أهنته بقولي :

وصيتك يا شيخ المعرفة طائر مطير العقاب حيث ندرى ولا ندرى

وشعرك ترنوه بلحظ كرامة عيون المهابين الرصافة والجسر

تمثل في شرق وغرب بذكره مشاهد أنس للبداءة وللحضر

فسقيا ! العهد كنت بيت قصيدة ورعيًا ! لا يام مزين على النهر " (٢٦)

والشيخ الميمن رحمه الله يشير بمواهب المعري الشعرية وعبقريته في قرض الشعر ،

شعرا -

☆ ان الشيخ المحقق بسبب وفرة اطلاعه وسعة علمه وثقافته يهتم اهتماما خاصا لكل ما يجذب إلى الكتاب وهو لا يزال يسعى أن يقدم المعلومات المفيدة للقارئ مثال ذلك ما كتب تحت العنوان :

” هو في مجلس المرتضى أولاً وآخراً“

بدأ الكلام ب نقل ياقوت فقال ما قال ثم
أورد رواية ابي منصور الطبرسي التي جرت بين ابي العلاء والشريف المرتضى وبعد إيراد هذه
الرواية علق عليها بقوله :

” وانما ذكرتها استطرافا حتى لا يخلو كتابي هذا عن كل ما يجذب إليه -“ (٢٧)

☆ ومن عجيب التلاءم والتوافق في الأسلوب والالفاظ والتراكيب ما نجده فيما كتبه
الشيخ الميمن عن عزلة شيخ المعرفة وخاصة بعد وفاة والدته ، وما ذكره المعري بنفسه ، يظهر هذا
من عبارة الشيخ الميمن حيث قال :

” ولم يكن يرغب ولا نبعث إن قلنا إن موت والدته الرؤوم نغص عليه هذا
العيش المشؤوم -“

ويوازن هذا بما قاله المعري بنفسه : ” وأنا وحشّي الغزيرة أنسى الولادة“ وبما قال :

” ولما فاتني المقام وصل الذراع باليد والليللة بالغد“ (٢٨)

☆ ومن أبرز ما يتضح في عمله هذا ، أنه لا يطيل الكلام في موضوع من الموضوعات ولا
يذكر ما لا صلة له بشخصية المعري أو ما يُعدُّ من الأشياء الزائدة ، أو التي لها صلة بعيدة ، لا حاجة
لذكرها ، فإنها لا تنفع في إبراز صورة من صور حياته وإنما يدخل في الموضوع مباشرةً في أسلوب
رائع حيث يجذب همّ القارئ ويلفت نظره ، وهو لا يحسّ بالملل ولا يشعر بالتعب ، ولعلّ أوضح ما
يدلّ على ذلك أسلوبه في ذكر تلك المعلومات التي أوردها تحت عنوان :

” نظرة عامة على حياته وعاداته“ (٢٩)

لغة ادبية عالية :

ومما يلاحظ من معظم مواضعه في كتابه هذا أنه مع التدقيق في جميع المعلومات حول

الملاح العامة لأسلوب الأستاذ عبدالعزيز الميمن في ضوء كتابه "ابوالعلاء وما إليه"

شخصية ابي العلاء ، ثم ترتيب تلك المعلومات وتنسيقها بأبداع صورة ، كان يميل دائما إلى اختيار كلمات مصقولة محلولة ثم إيرادها في جمل رائعة جميلة حيث ترد الكلمات فيها فتعلوها ردعة و تترتب فينشأ منها انين وجرس تتكون منها موسيقى تجذب الاسماع وتقرعها وتدق بأبوابها لتنتقل منها لتصل إلى الأذهان والقلوب فتأخذ بمجامعها .

وأكبر الظن أنه يفعلهُ تعمداً لتتم الموافقة وتكتمل المؤاممة والملاءمة بين ما يكتب وبين

كتابات المعري ، يقول في بداية الحديث تحت عنوان " قضاء الحاجات "

"لما علم الناس بما له من الخطر والقدر والمنزلة في نفوس أمراء

العصر أسأموه بالاستشفاع في قضاء الحاجات ، وأبرموه بالاستنجاد

في تحقيق الطلبات ومن يشابهه أبه فما ظلم" (٣٠)

وقال : " فلم يكونوا يخلونهُ قلامه ظفر (٣١)

وقال : " ومن الباب وانهما رضعا لبان وفرسا رهان (٣٢)

الاحاطة والشمول :

ومن تلك الميزات التي يمتاز بها تأليف الشيخ الميمن هذا بل يتميز من بين التأليف التي ألّفت في التراجم عامة ، أنه حرص ان لا يفوته جانب من جوانب حياة المعري فلذلك أحاط بجميع موضوعات تكون لها أدنى صلة ، وإن كانت ضمنية أو بعيدة - يظهر هذا بما جاء من عناوين لذكر حكام المعرفة وما كانت حالة الصلة المعري بهم - (٣٣)

موقفه كباحث ومحقق :

إن الشيخ الميمن ، وإن عاش في تلك الفترة من الزمن الذي يمكن لنا أن نسميها ، فترة التنقل أو فترة تنقل من حالة إلى حالة أخرى وبأسلوب آخر ، يمكن لنا أن نسميها فترة النهضة الحديثة فلذلك كان الشيخ الميمن من الرعيل الأول الذي كان ينهج نهجا ، ويعين طريقا وينحت سبيلا أي : إن العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة كانوا يضعون أصولا ويقررون قواعد الأجيال اللاحقة ليسيروا عليها وينهجوا وفقها ولم تكن قبل ذلك مقررة موجودة فمن هنا تظهر عبقرية الشيخ

اليمين وتنقح مواهبه حيث كان بمقتضى ثقافته وفطرته السليمة وفكرته البالغة قد عين لنفسه طريقا ليسير عليها ويبدو كأنه كان قرر لنفسه أصولا يسير عليها للبحث والتحقيق -
هذه الصفة له تراءى وتظهر لمن يلقى النظر فى اعماله فى التحقيق وخاصة ما كتبه فى تأليفه الجليل فى شخصيَّة المعرى ، ويمكن لنا أن نستشهد هنا بما قاله فى عنوان ”أمراضه وعلة“

قال : أرى أن ترك اللذائذ والاكتفاء على جشب الطعام وصوم الدهر والاجتناب عن النساء أورث أبا العلاء صحة وعافية كما يقول ، ل :

أفدت بهجران المطاعم صحَّةً فما بى من داء يخاف ولا جُبْن
على أنه لم يسلم من عادات العلل وإن كانت لم تستحق الذكر نظراً إلى صحته الطويلة وأرى أن شكواه من الأمراض فى بعض كلامه ليست إلا من طول فعوده بمجلسه أو الضعف الذى خانته به قواه فى هرمه ، وهذا شعره فى طلب العلم :

ما كنت ذا يسرف أجمعه ولا ذا صحَّة فأحالف التغليس
يشير إلى عماه :

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجعا فثم أفقد أو صابى وأمراضى (٣٤)
يُداوى المريض [١] يكما يصحَّ وهل صحة الجسم إلا مرض (٣٥)
☆ ومما يدل على تعمق الشيخ الميمن وسيره فى أغوار الحقائق و وصوله إلى أعماقها لإثارة الحق ، هو ما أثبتته تحت عنوان ” دار كتبه “-

إن العالم مثل المعرى لا بد أن يكون عنده عدد كبير من الكتب العلمية ، وهذا من المفروض والذى يعرف منزلة المعرى بين الأدباء العرب يظن أنه كانت عنده مصنفات معروفة سابقة له والتى اشتهرت فى عصر المعرى ، ولكنَّ الطريقة التى اختارها الشيخ الميمن للدلالة على تلك الكتب التى كانت فى دار كتب المعرى ، طريقة علميَّة بحثة تحتاج إلى كد شديد وجهد مرير - يبدو هذا ما كتبه فى ص ٢٨٠ - ٢٨١ (٣٦)

ثم ما وضعه من الكتب فى القائمة التى صنعها فى ص ٢٨٢ - ٢٨٣ - (٣٧)

☆ ولعل أهمّ الفصول وأحسن البحوث التي جاء بها الشيخ الميمن هو ما كتبه عن معتقد المعرى تحت عنوان "الآراء في تليينه من جهة الدين" ثم "النقائص" و"تزكيته أو القول بحيرته" وأخيرا تحت عنوان "القول الفصل في القضية" (٣٨)

فقد ذكر كل ما قيل في المعرى من خلافه إلى حقه وقد اشار إلى كثير من الأقوال التي سبقت في مواضع عديدة من الكتاب ، وبدأ تحت عنوان "القول الفصل في القضية" بقوله : هؤلاء الائمة تناقضت أقوالهم وتباينت مناحيهم في دين الرجل ولعل هذا الداء سرى إليهم من شعره ففيه كل شيء وضده " (٣٩)

وقال بعد أسطر : "والذى يتخلص من كلّ ماله أن الرجل لما رحل إلى بغداد كان يرتجى من دنياه ومن حياته أن تساعفه ، ولكن لما رأى بها أعراض الحياة وزهراتها منقادة للطعام معرضة بوجوهها عن الكرام علم أن الدنيا ليست إلا حظا وبحتا وأن فوائدها لا تحصل بالكد والعمل أو السعى والاجتهاد ولم يكن يرغب في الدنيا حتى يكتفى بها عن المعيشة الفاضلة فنقب عن العلماء والنسّاك لعله يجد دواءه عندهم فرآهم حريصين على المطاعم و المطاعم مولعين بالاستهتار بالمعاصى غير آخذين أنفسهم بالواجب واللازم وكأنه كلما أنكر عليهم منكرًا ونذّب بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه و أثار منهم دخلة فاسدة فرموه بالعظام - وأحالوا على الشريعة والدين حتى يخلصوا عن لومة كل لائم فرماهم رشقًا واحدا ، ووقع فيهم وفي أديانهم جاهدًا فأخذوا بعض كلامه وطاروه به ورموه به بكل قبيحة.

قال أمين الحلوانى :

" لعل ابا العلاء كان فى زمان مثل زماننا هذا يعنى كل امرئ أنكر المنكر يرمونه بسوء الاعتقاد ليغروا به الملوك كما قال الامام ابن حزم : انا طريد الملوك لأنى أقول الحق ولا أبالى

هـ (٤٠)

ثم قال : فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضًا ولا عرفوه رموه بكل

قبيح- (٤١)

ولى رغبة شديدة فى ذكر كل ما ذكره الشيخ الميمن فى كلامه الأخير لتعديل كل ما

ذكر في شيخ المعرفة من المخالفة والحماية فبسبب طول الكلام ، لأوْدُ أن أنقل ما ذكره الشيخ
الميمن رحمه الله عليه

وبالجملة هكذا عاش الاستاذ الميمن مع شيخ المعرفة وما زال يماشيه خطوةً خطوةً
طيلة حياته يحاول أن يحسَّ بإحساس شيخ المعرفة ويشعر بشعوره ، يعانى معانات حيات
ويتحمل مشقات أوانه ، كما حاول أن يبرِّئه بكل ما عزى إليه ، وينفث غبار التشويه والتغيير
اللذين بدّلا صورته الحقيقية كما نسبا إلى المعرى ما كان هو برئ منه ، ونحن عند ما نذكر هذا
نترحم عليه ، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يصبَّ عليه وعلى جميع من عزى إليه ما لم يكن
منه ، شآبيب رحمته ، وينزل سبحانه غفرانه إنه كريم غفور .

المصادر والمراجع

١- ابو العلاء وما إليه - عبدالعزيز الميمن ، مط السلفية و مكتبتها القاهرة ١٣٤٤ هـ

الملاح العامة لأسلوب الأستاذ عبدالعزيز الميمن في ضوء كتابه "ابوالعلاء وما إليه"

- ٢- بحوث وتحقيقات الميمنى - تأليف العلامة عبدالعزيز الميمن ، أعدّها للنشر ، محمد عزيز شمس ، دارالغرب الاسلامى بيروت ط أولى ١٩٩٥ م
- ٣- قافلة الأدب الإسلامى ، المجلد ١ ، العدد ٣-٤ ، ١٤٢١ هـ ، لاهور
- ٤- مجلة التحقيق العدد الأول سنة ٢٠٠٤ م طبع قسم اللغة العربية وادابها جامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد
- ٥- مجلة المجمع العلمى الهندى ، العدد العاشر يونيو ١٩٨٥ م ، والعدد سنة ١٩٧٦ م
- ٦- مجلة الوعى ، العدد ٣١ ، سنة ١٩٨٥ م ، الصادرة بكراتشى

الهوامش

(١) وانظر لترجمة الاستاذ الميمن مقالى 'مساهمة العلامة عبدالعزيز الميمن فى نشر العربية مجلة

التحقيق العدد الأول ٢٠٠٤م طبع قسم اللغة العربية بجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد، و مجلة الوعي ، العدد ٣١ ص ٣٦ وما بعدها عدد سنة ١٩٨٥، وقافلة الادب الاسلامي ، مقال الأستاذ د/ظهور احمد اظهر ، مجلة المجمع العلمي الهندي ، العدد العاشر عدد خاص يونيو ١٩٨٥ ، والعدد سنة ١٩٧٦م ، مقدمة بحوث وتحقيقات العلامة الميمن أعدها للنشر محمد عزيز شمس

- (٢) د- س مرجليوث في مقدمة ترجمة الرسائل ، والدكتور طه حسين في ذكرى ابي العلاء
- (٣) مقدمة كتاب ابي العلاء وما اليه ص ٣ ، ٤
- (٤) ابو العلاء وما اليه ص ١٢-١٩
- (٥) ابو العلاء وما اليه ص ٢٩
- (٦) المصدر السابق ص ٣٠
- (٧) ابو العلاء وما اليه ص ٣٥
- (٨) المصدر السابق ص ٣٧
- (٩) المصدر السابق ص ٤٢
- (١٠) ابو العلاء وما اليه ص ٦٤
- (١١) المصدر السابق ص ٦٦-٧١
- (١٢) هذا هو اصطلاحه قد اصطلح عليه للإشارة إلى ابي العلاء فكلّمنا أراد أن يذكره فإنما يقول : " كما قال صاحبنا "
- (١٣) ابو العلاء وما اليه ص ٨٤-٨٥
- (١٤) المصدر السابق ص ٨٧-١٠٢
- (١٥) المصدر السابق ص ١٠٢-١٠٦
- (١٦) ابو العلاء وما اليه ص ١١٧-١١٨
- (١٧) المصدر السابق ص ١٢٢-١٢٦
- (١٨) هكذا يذكر الاستاذ الميمن ، ابا العلاء المعرّي حيث يقول " صاحبنا "
- (١٩) ابو العلاء وما اليه ص ١٣٥-١٣٨
- (٢٠) ابو العلاء وما اليه ص ١٣٩-١٤٠
- (٢١) أي : سقط الزند

- (٢٢) ابو العلاء وما اليه ص ١٤٣
- (٢٣) المصدر السابق ص ١٤٤
- (٢٤) ويضاف إلى ذلك ما قاله الاستاذ الميمن عن كتاب الأذكياء في الهامش ص ١٤٥
- (٢٥) المصدر السابق ١٧٦/١
- (٢٦) ابو العلاء وما اليه ص ١٤٦
- (٢٧) ابو العلاء وما اليه ص ١٥٣ - ١٥٨
- (٢٨) ابو العلاء وما اليه ص ١٦٩
- (٢٩) ابو العلاء وما اليه ص ١٨٣ - ١٩٤
- (٣٠) ابو العلاء وما اليه ص ٢٣٥
- (٣١) المصدر السابق ص ٢٣٥ - ٢٣٦
- (٣٢) المصدر السابق ص ٢٣٦
- (٣٣) المصدر السابق ص ٢٣٨ - ٢٥٠
- (٣٤) المصدر السابق نفسه
- (٣٥) ابو العلاء وما اليه ص ٢٥٠
- (٣٦) ابو العلاء وما اليه
- (٣٧) المصدر السابق
- (٣٨) من ص ٢٨٤ إلى نهاية الشوط بصفحة ٢٩٨ من الكتاب
- (٣٩) ابو العلاء وما اليه ص ٢٨٩
- (٤٠) ابو العلاء وما اليه ص ٢٩٠ - ٢٩١
- (٤١) المصدر نفسه